

ضعف دافعية التعلم لدى المتعلمين

أسماء إذبالا
مفتشة متدربة - باحثة

ملخص: الدافعية لها ارتباط وثيق بعملية التعلم؛ من حيث علاقة كل منها بالسلوك الفردي؛ فإذا كان التعلم يتضمن تغييرا في مكونات وهيئة السلوك، فالدافعية ترتبط ببحث هذا السلوك على التغيير، وتنبع من داخل الفرد حتى وإن كانت مرتبطة بالبيئة المحيطة به، فهي باختصار شديد حالة داخلية للمتعلم تدفعه إلى الانتباه إلى الموقف التعليمي، والقيام بنشاط موجه والاستمرار في هذا النشاط حتى يتحقق التعلم.

وتثير مسألة الدافعية وطبيعتها جدلا واسعا بين العلماء نظرا لتداخل مجموعة من الأبعاد في تحديد مفهومها، مما أفرز نظريات تفسرها بطرق مختلفة بناء على الأسس والمبادئ النظرية المشكلة لهذا المذهب أو ذاك. والملاحظ من خلال الممارسة العملية للتدريس والزيارات الصفية للسادة الأساتذة ضعف دافعية المتعلمين للتعلم، فما الأسباب وراء هذا الضعف؟ وما هي البدائل والحلول لتجاوز هذا الوضع؟ هذه الأسئلة وأخرى تحاول المقالة الإجابة عنها باختصار.

Résumé: La motivation est intrinsèquement liée à l'acte d'apprentissage ; en ce sens que ces deux éléments ont un rapport avec le comportement de l'individu. En effet, si l'apprentissage consiste à opérer un changement de composantes et d'aspects du comportement, la motivation, quant à elle, incite au changement de ce comportement ; elle émane de l'intérieur de l'individu même si elle est liée à l'environnement immédiat. Elle est en somme intrinsèque et pousse l'apprenant à plus d'attention dans les situations d'enseignement-apprentissage et à continuer à s'impliquer dans une activité orientée jusqu'à la réalisation de l'apprentissage effectif.

De par sa nature et vu l'enchevêtrement et la superposition de plusieurs dimensions liées au concept, la motivation soulève énormément de débats au sein de la communauté scientifique ; ce qui a donné lieu à une panoplie de théories différentes visant à la définir selon les principes et les soubassements de chaque courant.

La pratique enseignante observée au sein des classes atteste de la faiblesse de la motivation chez les apprenants. Quelles en sont donc les causes ? Y a-t-il une alternative ou des solutions pour remédier à cette situation ? Cet article se propose de répondre à ces questions et à bien d'autres.

تمهيد

1. المقصود بالدافعية وعلاقتها بالتعلم.

أ. المقصود بالدافعية

ظهر هذا المصطلح في ثلاثينيات القرن العشرين للإشارة إلى «مجموعة من العوامل اللاواعية والمؤثرة في السلوك». ومنذ ذلك الحين انتشر استخدامه بدلا من عدة تعابير أخرى كانت شائعة مثل الميول والحاجات والغرائز والرغبات.⁽¹⁾ ويعتقد **موكيللي** «بأن وراء انتشار هذا المفهوم معانيه الملتبسة والجذابة والتي تعود إلى الأمل في اكتشاف الطاقة الكامنة وراء سلوك الأفراد من أجل التلاعب بهم». والدافعية، كما جاء في كتاب علم النفس التربوي **لأنيتا وولفولك**، هي حالة داخلية تستثير السلوك وتحافظ عليه.⁽²⁾ وجاء في مجموعة من المصادر اعتبارها مصطلحا عاما يستعمل للدلالة على العلاقة الميكانيكية بين الكائن الحي وبيئته، ولا يتضمن أي إشارة إلى نشاط من نوع خاص أو نموذج سلوكي معين.

وإجمالا، فالدافعية تنبع من داخل الفرد حتى وإن كانت مرتبطة بالبيئة المحيطة به، وتوظف عبارة (العلاقة الميكانيكية) يوحي بتغيب مجموعة من خصائص النوع البشري والتي تميزه عن غيره من الكائنات الحية، فهي حالة داخلية في الفرد تستثير سلوكه وتعمل على استمرار هذا السلوك وتوجيهه.

وتثير مسألة الدافعية وطبيعتها جدلا واسعا بين العلماء نظرا لتداخل مجموعة من الأبعاد في تحديد مفهومها، مما أفرز نظريات تفسرها بطرق مختلفة بناء على الأسس والمبادئ النظرية المشككة لهذا المذهب أو ذاك؛ فجد منها النظرية الارتباطية التي تفسر الدافعية في ضوء نظريات التعلم ذات المنحى السلوكي،⁽³⁾ في حين نجد النظرية المعرفية تسلم بافتراض مفاده أن الكائن البشري مخلوق عاقل، يتمتع بإرادة حرة تمكنه من اتخاذ قرارات واعية على النحو الذي يرغب فيه، لذلك تؤكد هذه النظرية على مفاهيم أكثر ارتباطا

في الوقت الذي تراهن فيه السياسات التربوية على محورية المتعلم في العملية التعليمية التعلمية، ونصت على ذلك الوثائق الرسمية الموجهة للمنظومة التربوية المغربية، نجد هذا المتعلم غير منخرط في هذه العملية، ويكتفي في الأغلب الأعم باتخاذ دور المستمع وفي أحسن الظروف دور المشارك السلبي الذي يكتفي بإرجاع ما تلقاه من معارف عند كل مثير (السؤال). وإذا كان للدافعية ارتباط بعملية التعلم من حيث علاقة كل منهما بالسلوك الفردي - إذ التعلم يتضمن تغييرا في مكونات وهيئة السلوك، أما الدافعية فتربط ببحث هذا السلوك على التغيير - فإن مشكلة المدرسة في علاقتها بالممارسة الصفية للأساتذة تتمثل في مدى حضور الدافعية للتعلم لدى المتعلمين، ومدى استحضار المدرس لها

في عملية التخطيط لبرنامجها. بناء عليه، ما المقصود بالدافعية؟ ما علاقتها بالتعلم؟ وما هي أسباب ونتائج ضعف دافعية التعلم عند المتعلمين؟ وما هي الحلول والبدائل التي يمكن اقتراحها؟

أصبحت تحليلات ضعف دافعية التعلم لدى المتعلمين واضحة على سلوكيات المتعلمين وتحصيلهم الدراسي، الشيء الذي يستدعي وقفة تأمل في الأسباب والمسببات حتى لا تبقى المدرسة مجرد مكان لحشو الأدمغة بمعارف ومعلومات ليس لها معنى بالنسبة للمتلقي وهو هنا المتعلم، وهكذا لا يستطيع إدماجها في مواقف حياته المختلفة.

والدافعية موضوع متسع ومعقد ويتضمن نظريات كثيرة، بعضها طور من خلال الاشتغال على الحيوانات في المختبرات، والبعض الآخر اعتمد على الإنسان في مواقف استخدمت فيها الألعاب، وصنف آخر انبثق عن العمل النفسي الإكلينيكي والصناعي، وكلامنا حوله سوف يكون انتقائيا.

الدافعية موضوع متسع ومعقد ويتضمن نظريات كثيرة

تحقيق علاقاته الاجتماعية مع العالم الخارجي.»⁽⁵⁾ وقد ركز علماء النفس في دراستهم لموضوع الدافعية على خمسة أسئلة أساسية، نسقطها على المتعلم فنقول:

- ما هي الاختيارات التي يتخذها المتعلمون فيما يتعلق بسلوكهم؟
- ما هو الزمن الذي يستغرقه بدء المتعلم في عمل معين؟
- ما هي درجة انغماس المتعلم في النشاط المختار؟
- ما الذي يجعل المتعلم يثابر أو ينصرف؟
- ما هو تفكير المتعلم وشعوره أثناء انغماسه في النشاط؟ وهل يستمتع به ويجد لذته فيه؟

والم تأمل في هذه الأسئلة يجد الأجوبة عنها عبارة عن محددات لدى حضور دافعية التعلم لدى المتعلمين سواء داخل الفصل أو خارجه؛ فالمدرس في الفصل يجد نفسه أمام فئات من المتعلمين منهم من ينخرطون في إنجاز الأنشطة مباشرة بعد وضعها ومنهم من يبدأ في الإنجاز وتقاسيم وجهه تدل على عدم رغبته في الاستمرار، في حين يجد البعض الآخر يشارك ويثابر، فيطرح على نفسه تساؤلات غالبا ما تكون متمركزة حول نوعية النشاط المقدم وطريقة اشتغاله في الصف، مع أن الأمر يتعدى هذا المجال الضيق لينفتح على أسباب خارجة عن حدود المدرسة؛ وهو ما سيتم التطرق إليه في محور أسباب ونتائج ضعف دافعية التعلم لدى المتعلمين.

كما أن من الباحثين في علم النفس التربوي من تناول الحديث عن الدافعية في علاقتها بالنشاط التعليمي التعليمي أو موضوعه، فقسّمها إلى قسمين: داخلية وخارجية. فالدافعية الداخلية: هي تلك القوة التي توجد داخل النشاط أو في موضوع التعلم والتي تجذب المتعلم نحوها وتشده إليها؛ أما الدافعية الخارجية: فهي القوة الموجودة خارج النشاط أو موضوع التعلم ولا علاقة تربطها به، فالتعلم والحالة هذه وسيلة لتحقيق هدف خارج موضوع التعلم نفسه، ومن أمثلتها الجوائز المادية أو المعنوية.⁽⁶⁾

بمتوسطات مركزية كالقصد والنية والتوقع، لأن النشاط العقلي للفرد يزوده بدافعية ذاتية متأصلة فيه؛ ونجد النظرية الإنسانية تفسرها من حيث علاقتها بدراسات الشخصية أكثر من علاقتها بدراسات التعلم؛⁽⁴⁾ أما نظرية التحليل النفسي التي يتزعمها فرويد فهي تنحو منحى يختلف جذريا عن النظريات الثلاث السابقة؛ إذ هي تستخدم مفهوم الغريزة واللاشعور والكبت عند تفسير السلوك السوي وغير السوي على حد سواء.

ب. علاقة الدافعية بالتعلم

يمكن اعتبار الدافعية في علاقتها بالتعلم، باختصار شديد، حالة داخلية للمتعلم تدفعه إلى الانتباه إلى الموقف التعليمي التعليمي، والقيام بنشاط موجه والاستمرار في هذا النشاط حتى يتحقق التعلم. ووظيفة الدافعية في عملية التعلم ثلاثية الأبعاد:

- الوظيفة الأولى: تحرر الطاقة الانفعالية الكامنة في المتعلم.
 - الوظيفة الثانية: تملي على المتعلم الاستجابة لموقف معين وإهمال مواقف أخرى.
 - الوظيفة الثالثة: توجه السلوك وجهة معينة.
- ولعل المتأمل في الوظائف

الثلاث المذكورة يكتشف أنها مترابطة بشكل كبير، إذ كل واحدة لها تعلق بالأخرى؛ فلا يمكن أن نتحدث عن توجيه السلوك بمعزل عن الحديث عن الوظائف السابقتين، كما لا يكفي أن يكون المتعلم نشيطا ليحقق إشباع حاجاته من التعلم بل يجب أن يوجه نشاطه وجهة معينة، ومن هنا جاءت عبارة **جون ديوي**: «يجب أن نعنى عناية تامة بالظروف التي تعطي كل خبرة من خبرات الطفل معنى حينما تكون الخبرات التي يتعلمها الطفل داخلية في حياته، وحينما تحقق أغراضه الحالية وتساعد على التكيف الصحيح في مستقبل أيامه، وحينما تساعد على حل المشاكل، لا مجرد التذكر والحفظ. وأخيرا حينما ينتهي بها الأمر إلى

الدافعية حالة داخلية في الفرد تستثير سلوكه وتعمل على استمرار هذا السلوك وتوجيهه.

2. أسباب ونتائج ضعف دافعية التعلم لدى

المتعلمين

ولكي لا نوسع في مقام يقتضي الاختصار والتركيز للخروج بحلول وبدائل، نقترح الاختصار في هذا المحور على ما له علاقة ببيئة التعلم داخل الفصل؛ لأن موضوع الدافعية ذيوله عديدة وشاسعة قد لا يكفيننا لتناولها مجلدات ضخام.

أ. أسباب ضعف دافعية التعلم لدى المتعلمين

تتعدد الأسباب المؤدية إلى ضعف دافعية المتعلم للتعلم بتعدد الأطراف المتدخلة في العملية التعليمية التعليمية وتعدد العوامل المؤثرة في الحياة المدرسية عموما، والمقام لا يتسع للتفصيل فيها؛ لذا ننظم أهم معالمها في الخطاطة (آخر المقال)؛ على أن يتضح دورها من خلال الحديث عن الحلول المقترحة للتخفيف من حدة الظاهرة وانعكاساتها على تعلمات المتعلمين وتفاعلهم في بيئتهم المدرسية على وجه الخصوص والاجتماعية عموما.

ب. نتائج ضعف دافعية التعلم لدى المتعلمين

نركز الحديث في المسألة على النتائج المرتبطة بسلوك المتعلم داخل المدرسة، وخاصة داخل القسم. فمن خلال المعطيات السالفة الذكر فضلا عن الدراسات الميدانية في الموضوع، يمكن تسجيل جملة من النتائج نسوقها كالآتي:

- تشتت انتباه المتعلمين داخل الفصل، وميلهم إلى الشرود في محاولة لإيجاد ذواتهم بعيدا عن فضاء المدرس؛
- غياب سؤال المتعلم للتعلم، وفي الآن ذاته غياب الجواب الذي يشبع حاجته للتعلم، وهنا يجب استحضار دور السؤال/الجواب في عملية التعلم؛
- إهمال الإعداد القبلي للمادة الدراسية؛

- عدم الاهتمام بجمالية الأدوات المدرسية؛
- ضعف مشاركة وانخراط المتعلمين في بناء الدرس، إذ يتم الاختصار على الإجابة عن أسئلة المدرس بشكل آلي؛
- غياب المعنى عن التعلم لدى المتعلمين يفرضي إلى صعوبة إدماجها في وضعيات أخرى حياتية؛
- الميل إلى العنف والعدوان داخل الفصل وخارجه، ومع كل الأطراف المتدخلة في العملية التعليمية التعليمية.

3. الحلول والبدائل

المهدف الأساس هو تبيان بعض الأسس والتطبيقات التي تفيد المدرس في تحقيق شرط الدافعية حتى لا يكون التعلم ممكنا فحسب، وإنما كي يتحقق بأحسن طريقة ممكنة، لذا نقترح الاختصار على نقاط ثلاث نجدها هامة وتحليلات الإخلال بها حاضرة بقوة في فصولنا الدراسية.

أ. التوظيف الإيجابي لميول المتعلمين

الميل عبارة عن اتجاه موجب لدى الشخص نحو موضوع معين أو نشاط ما، وتلاميذ الثانوي بسلكيه عادة ما تكون لديهم ميول إزاء موضوعات معينة، والمدرس بإمكانه توظيفها للرفع من حافزية المتعلم للتعلم؛ لأن وجود ميل لدى المتعلم، حتى ولو كان بسيطا، يدل على أنه قادر على التعبير عنه في أسلوب ما من أساليب النشاط.

ب. تطبيق مبدأ التعاقد مع المتعلمين

- مما لا شك فيه أن مما يثير دوافع المتعلمين للتعلم، هو انخراطهم في بناء تصور حول سيروية تعلماتهم وذلك عن طريق عقد ديداكتيكي يشترك كل من المدرس والمتعلم في صياغة بنوده، ويمكن إجمال أهمها فيما يلي:
- الكفايات والأهداف؛
 - مفردات المنهاج (المحتوى)؛

خاتمة:

تظهر أهمية الدافعية من الوجهة التربوية من حيث كونها من جهة هدفا تعليميا في ذاتها، لأن استثارة دافعية المتعلمين تجعلهم يقبلون على ممارسة الأنشطة التعليمية سواء داخل الفصل أو خارجه مما يعطي فرصا أكبر للتحصيل والنجاح، ومن حيث كونها هدفا تعليميا من جهة أخرى وذلك من خلال اعتبارها أحد العوامل المحددة لقدرة المتعلمين على التحصيل والإنجاز؛ لأن الدافعية مرتبطة بميول المتعلم وحاجاته فتجعل من بعض المثيرات معززات تؤثر في سلوكه وتحثه على المثابرة بشكل نشط وفعال.

ولهذا يجب على كل المتدخلين في العمل التربوي (أساتذة - مديرين - مفتشين ...) العمل على توفير الظروف الملائمة لاستثارة دافعية التعلم لدى المتعلمين والإبقاء عليها طيلة سنوات الدراسة بمختلف الأسلاك التعليمية، ولا يمكن لأي نظام تربوي النجاح في غياب هذا العنصر لشدة ارتباطه بالمحور الأساس للمنظومة التربوية وهو المتعلم ولتوقف عملية التعلم عليه.

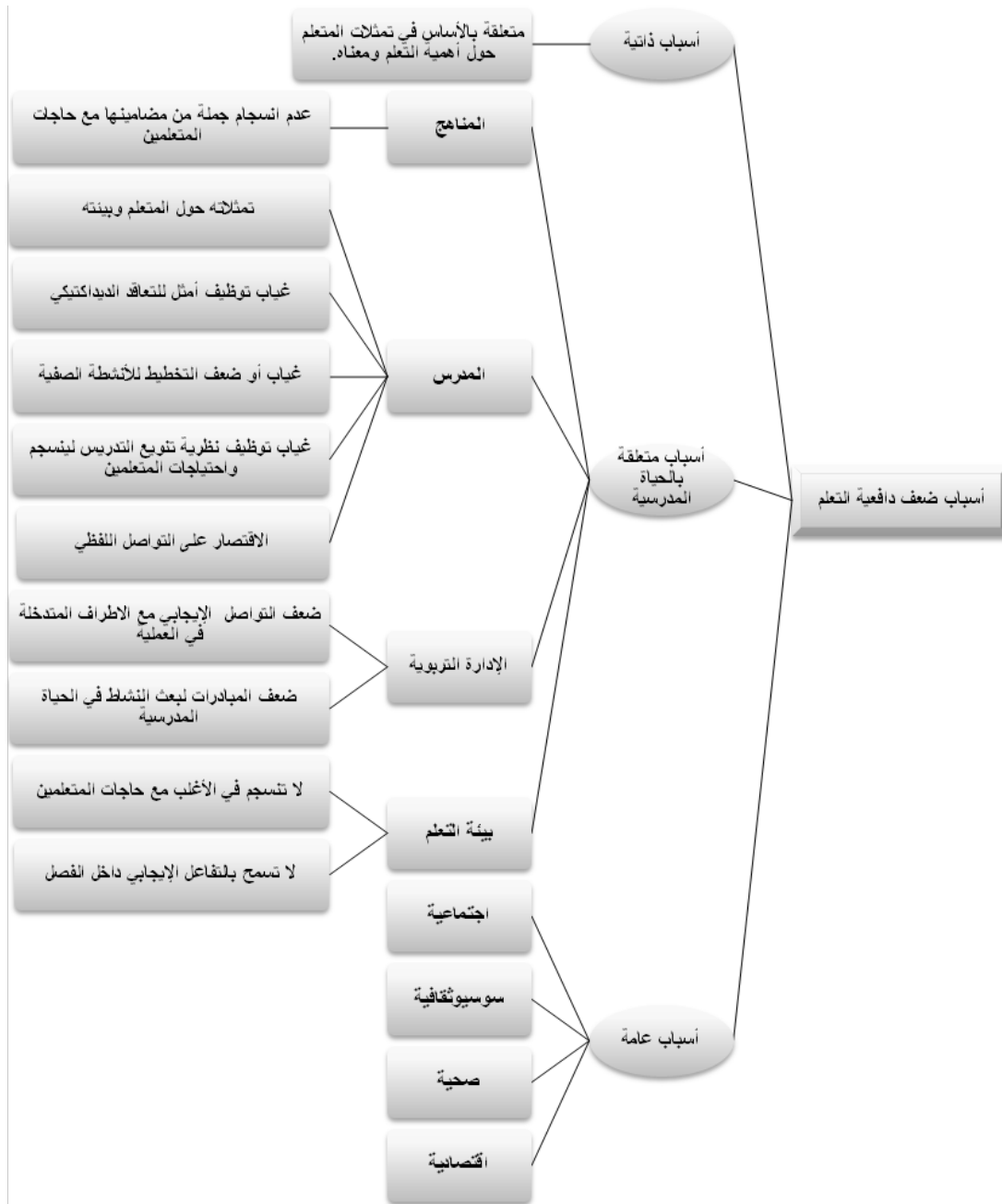
- طريقة الاشتغال داخل الفصل وخارجه؛
- مقومات الفصل وضوابطه.

وتجدر الإشارة إلى أن هذا التعاقد يجب استحضاره في كل محطات التعلم، والتذكير به، وتحديد معطياته كلما اقتضت الضرورة ذلك، لكيلا يتحول إلى قيود تحد من عطاءات المتعلمين فيؤدي إلى نتائج عكسية.

ج. حسن توظيف فروض المراقبة المستمرة

التقويم بجميع أشكاله، وخاصة منها فروض المراقبة المستمرة، في ظل مقاربات التعلم الحديثة لا ينحصر دوره في مجرد إعطاء نقطة للمتعلم وترتيبه ضمن لائحة زملائه، والحكم عليه بالنجاح أو الرسوب؛ بل يتعدى ذلك إلى اعتباره أداة لإثارة دافعية المتعلم نحو التعلم، ولتحقيق هذا المبتغى يجب استحضار مجموعة من الاعتبارات تدعو الضرورة إلى مراعاتها في التعامل مع هذه الأداة، نذكر منها:

- التعاقد مع المتعلمين في شأن أوقات إنجازها وأهدافها؛
- الانطلاق من وضعيات تقويمية قريبة من اهتمامات المتعلمين؛
- التخطيط المحكم لفروض المراقبة المستمرة؛
- توظيف شبكة التقويم، وضبط صياغة المعايير وأجرائها في مؤشرات محدودة وواضحة؛
- استحضار الأبعاد الثلاثة (المعرفية-الوجدانية-السلوكية) في التخطيط لفروض المراقبة المستمرة؛
- استثمار أجوبة المتعلمين، إذ الوظيفة التقويمية الجزائية لفروض المراقبة المستمرة لا تلغي بعدها التكويني؛ ذلك لأن طبيعتها المرحلية والمتدرجة، تفسح المجال لإعادة أو تعميق تكوين التلاميذ في الجوانب المعرفية والمنهجية التي كشفت أجوبة المتعلمين على وجود ثغرات أو أخطاء فيها.



الإحالات

- [1] مريم سليم وإلهام الشعرائي. [2006] الشامل في المدخل إلى علم النفس. ص: 293. ط 1- بيروت - لبنان. دار النهضة العربية .
- [2] Anita Woolfolk. [2010] علم النفس التربوي. ترجمة د. صلاح الدين محمود علام. عمان. دار الفكر. ص: 805.
- [3] من زعماء هذه النظرية نجد «ثورندايك» (Thorndike) و«هول» (Hall) و«سكينر» (Skinner)؛ يشرح الأول الدافعية بقانون الأثر حيث يؤدي الإشباع الذي يتلو استجابة ما إلى تعلم هذه الاستجابة وتقويتها. في حين يستخدم «هول» مصطلح اختزال الحاجة للدلالة على حالة الإشباع. ومصطلح الحافز للدلالة على بعض المتغيرات المتدخلة بين الحاجة والسلوك. أما «سكينر» فيرفض مثل هذه المتغيرات. ويرى أن نشاط العضوية مرتبط بكمية حرمانها. والتعزيز الذي يتلو الاستجابات يؤدي إلى تعلمها.
- [4] يتبنى ماسلو - وهو من زعماء النظرية الإنسانية - نموذجاً هرمياً يحدد فيه حاجات الإنسان بسبع فئات. تبدأ بالحاجات الفيزيولوجية وتنتهي بالحاجات الجمالية. ويرى ضرورة إشباع الحاجات الدنيا للتمكن من إشباع الحاجات ذات المستوى الأعلى...
- [5] أحمد زكي صالح. 1979م. علم النفس التربوي. مصر. مكتبة النهضة المصرية. الطبعة الرابعة عشر. ص: 337.
- [6] أنظر في المسألة: مريم سليم وإلهام الشعرائي. [2006] الشامل في المدخل إلى علم النفس. م. س- ص: 156-157. ط 1- بيروت-لبنان. دار النهضة العربية.

المراجع

- توق. محي الدين وآخرون [2003]. أسس علم النفس التربوي. عمان : دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع.
- سليمان. سناء محمد [2010]. قراءات في علم النفس المدرسي. عالم الكتب. ط 1.
- د. مريم سليم وإلهام الشعرائي. [2006] الشامل في المدخل إلى علم النفس. ص: 293. ط 1- بيروت - لبنان. دار النهضة العربية .
- صالح. أحمد زكي [1979]. علم النفس التربوي. مكتبة النهضة المصرية. الطبعة الرابعة عشر.
- قطامي. يوسف [1993]. نماذج التدريس الصفي. عمان: مؤسسة زهران للطباعة والنشر.
- نشواتي. عبد المجيد [1984]. علم النفس التربوي. عمان. دار الفرقان للنشر والتوزيع.
- وولفولك. أنيتا [2010]. علم النفس التربوي. ترجمة صلاح الدين محمود علام. عمان. دار الفكر.
- GRAHAM, Sandra et WEINER, Bernard [1996]. Theories and principles of motivation: http://www.unco.edu/cebs/psychology/kevinpugh/motivation_project/resources/graham_weiner96.pdf
- MASLOW, A. H. [1943]. Theory of human motivation: <http://downloads.joomlancode.org/trackeritem/5/8/7/58799/AbrahamH.Maslow-ATheoryOfHumanMotivation.pdf>.